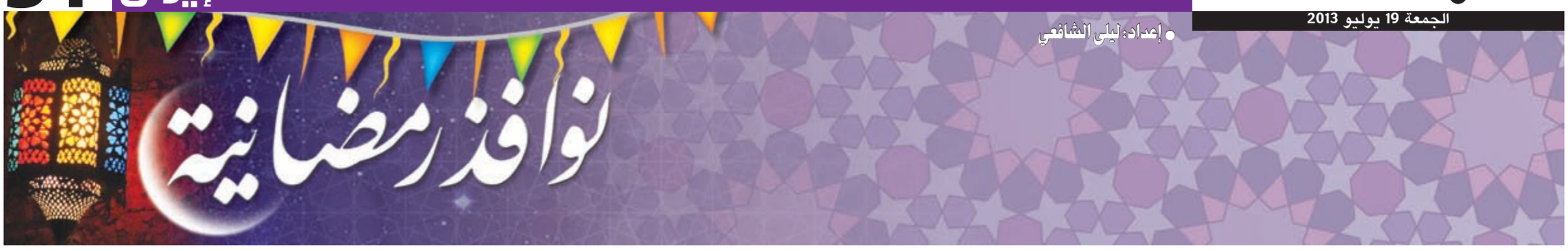

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة الأنصار رضي الله عنهم

عن أنس بن مالك ﷺ قال: فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنينا فجاء المشركون بأحسن صنوف رئيت أو رأيت. قال: فلم نلبث ان انكشف خيلنا وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس، قال: فنادى رسول الله ﷺ: «يا للمهاجرين! يا للمهاجرين! يا للأنصار! يا للأنصار!» قال: قلنا: لبيك يا رسول الله! قال: فتقدم رسول الله ﷺ قال: «وايم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال، قال: فنزلنا، فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة ويعطي الرجل. قال: فتحدثت الأنصار بينها: أما من قاتله فيعطيه، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه؟! قال: فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ فأمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه، ثم قال: «لا يدخلن علي إلا الأنصار»، قال: فدخلنا حتى ملأنا القبة، فقال نبي الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! ما حديث أتاني» قالوا: ما أتاك يا رسول الله؟ قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله ﷺ؟ لو أخذ الناس شعبا وأخذت الأنصار شعبا لأخذت شعب الأنصار» قالوا: رضينا يا رسول الله!

وروى هذا الحديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص قال: حدثني أبو سلمة بن عبدالرحمن وغيره، قال: بلغ النبي ﷺ أن الأنصار قد قالت: قال: فدخلوا عليه فقال لهم: «ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى، قال: «ألم أجدكم عالة فأغناكم الله بي؟» قالوا: بلى، قال: «ألم أجدكم أعداء فألف بين قلوبكم بي؟» قالوا: بلى، قال: «أما انكم لو شئتم قلتم، فصدقتم: جئتنا طريدا فأويناك» قالوا: الله ورسوله أمن، قال: «لو شئتم قلتم: قد جئتنا مخذولا فنصرناك» قالوا: الله ورسوله أمن، قال: «ولو شئتم قلتم جئتنا عائلا فآسيناك» قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: «أفلا ترضون أن ينقلب الناس بالشاة والبعير وتنقلبون برسول الله الى رحالكم؟» قالوا: بلى، رضينا، قال: «ولو ان الناس سلكوا واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ولو لا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار دثار والأنصار شعار».

من التراث

أشهد أنه حر لوجه الله

حكي ان عبدالله بن جعفر ﷺ وهو مشهور بالسخاء، مر على بستان، فرأى فيه عبدا يعمل فيه ويجمع التمر، فجاءه ابن سيده برغيفين ليأكل فجلس العبد ليأكل، فرأى كلبا قد اقبل نحوه يهمهم ويحرك ذنبه، فألقى اليه برغيف فالتهمه سريعا واقترب منه يحرك ذنبه فرمى اليه بالرغيف الثاني وقام لعمله.

فعجب عبدالله بن جعفر من فعل هذا العبد، واقترب منه وسأله: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال العبد: هو ما رأيت، قال عبدالله: ولم آثرت بهما هذا الكلب؟ قال العبد: ان ارضنا ليست بأرض كلاب، وعلمت ان هذا الكلب ما ساقه الينا الا الجوع، فآثرته على نفسي، قال عبدالله: وكيف تصنع بنفسك هذا اليوم؟ قال العبد: اطوي هذه الليلة، اي ابيت على الجوع، قال عبدالله: يلومني الناس على السخاء، وهذا الغلام اسخى مني، فذهب عبدالله بن جعفر الى سيد هذا الغلام وطلب منه ان يبيعه غلامه هذا، قال سيد الغلام: ولم تريد شراءه؟ فقال له السيد: انت تريد ان تفعل به ذلك، بهذه الخصلة الواحدة، ونحن لانزال نرى منه العجائب كل يوم!

اشهد انه حر لوجه الله تعالى وان البستان هبة مني اليه!

كما تدين تُدان

يحكى عن وهب بن منبه ﷺ قال: كان عابد من عباد بني اسرائيل يعبد الله تعالى في صومعة على جانب نهر، وكان بقربه، قصار يقصر الثياب، فجاء فارس معه كيس مال، واغتسل في النهر، ثم لبس ثيابه ونسي كيسه وذهب.فجاء صياد يصيد السمك بشبكة، فرأى الكيس، فأخذه ومضى.ثم رجع الفارس فلم يجد كيسه فقال للقصار: نسيت كيس مالي هنا؟فقال له: ما رأيته.فسل الفارس سيفه وقتل القصار. فلما رأى العابد كاد ان يفتتن! وقال: الهي وسيدي، يأخذ الصياد كيس المال، ويقتل القصار؟! فلما جاء الليل ونام العابد اوحي اليه في منامه: (ايها العابد، الصالح لا يفتتن، ولا يخل في علم ربك، واعلم: ان الفارس كان قتل ابا الصياد واخذ ماله، فكيس المال من مال ابيه، وان القصار كانت صحيفته مملوءة بالحسنات وليس فيها الا سيئة واحدة، وكانت صحيفة الفارس مملوءة بالسيئات وليس فيها الا حسنة واحدة، فلما قتل القصار محيت سيئته، ومحيت حسنة الفارس، وربك يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد).

الرجال مواقف

أبو زرعة الرازي كان يحفظ 100 ألف حديث

يقول عن نفسه: احفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان سورة الإخلاص.

وصفه كتاب «التراجم والسير» بأنه سيد الحفاظ لقوة حفظه التي تميز بها بين أقرانه من اهل الحديث.

نسبه ونشأته

هو الإمام سيد الحفاظ عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ محدث الري، ودخول الزاي في نسبته غير مقيس كالمروزي، ولد سنة 210هـ.

بدأ طلب العلم وهو حدث، فارتحل من الري وهو ابن ثلاث عشرة سنة وأقام بالكوفة عشرة أشهر ثم رجع إلى الري ثم خرج في رحلته الثانية وغاب عن وطنه أربع عشرة سنة، وجلس للتحديث وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، وارتحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان ليتعلم على عدد من علماء الحديث، ومن شيوخه أحمد بن يونس اليربوعي والحسن بن بشر.

]قوة حفظه

قال صالح بن محمد جزرة سمعت أبا زرعة يقول كتبت عن إبراهيم ابن موسى الرازي 100 ألف حديث وعن أبي بكر بن أبي شيبة مائة ألف فقلت له بلغني أنك تحفظ مائة ألف حديث تقدر أن تملي علي ألف حديث من حفظك قال لا ولكن إذا ألقي علي عرفت.

وسئل أبو زرعة عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ 100 ألف حديث هل حنث فقال: لا، ثم قال أبو زرعة أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد (سورة الإخلاص) وفي المذاكرة 300 ألف حديث.

وروي عن محمد بن مسلم قال: كنت عند إسحاق بنيسابور فقال رجل من العراق سمعت أحمد بن حنبل يقول صح من الحديث سبع مائة ألف حديث وكسر وهذا الفتى يعني أبا زرعة قد حفظ 600 ألف حديث.

وقال سعيد بن عمرو الحافظ سمعت أبا زرعة يقول دخلت البصرة فحضرت سليمان الشاذكوني يوم الجمعة فروى حديثا فرددت عليه ثم قال حدثنا ابن أبي غنية عن أبيه عن سعد ابن إبراهيم عن نافع بن جبير قال: لا حلف في الإسلام، فقلت هذا وهم وهم فيه إسحاق بن سليمان وإنما هو سعد عن أبيه عن جبير قال: من يقول هذا؟ قلت: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي غنية فغضب ثم قال لي ما تقول فيمن جعل الأذان مكان الإقامة قلت يعيد قال: من قال هذا قلت الشعبي، قال: من عن الشعبي؟ قلت: حدثنا قبيصة عن سفيان عن جابر عن الشعبي، قال: ومن غير هذا؟ قلت: إبراهيم وحدثنا أبو نعيم حدثنا منصور بن أبي الأسود عن مغيرة عنه قال: أخطأت قلت: حدثنا أبو نعيم حدثنا جعفر الأحمر حدثنا مغيرة قال: أخطأت قلت: حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو كدينة عن مغيرة قال: أصبت ثم قال أبو زرعة اشتبه علي وكتبت هذه الأحاديث الثلاثة عن أبي نعيم فما طالعتها منذ كتبتها ثم قال: وأي شيء غير هذا قلت: معاذ بن هشام عن أشعث عن الحسن قال: هذا سرقته مني وصدق كان ذاكرني به رجل ببغداد فحفظته عنه.

مواقف من حياته

قال أبو علي جزرة قال لي أبو زرعة مر بنا إلى سليمان الشاذكوني نذاكره قال فذهبنا فما زال يذاكره حتى عجز الشاذكوني عن حفظه فلما أعياه ألقى عليه حديثا من حديث الرازيين فلم يعرفه أبو زرعة فقال سليمان يا سبحان الله حديث بلدك هذا مخرجه من عندكم وأبو زرعة ساكت والشاذكوني يخجله ويري من حضر أنه قد عجز فلما خرجنا رأيت أبا زرعة قد اغتم ويقول لا أدري من أين جاء بهذا فقلت له وضعه في القوت كي تعجز وتخجل قال هكذا قلت نعم فسري عنه.

وروي عن ابن عدي سمعت محمد بن إبراهيم المقرئ سمعت فضلك الصائغ يقول دخلت المدينة فصرت إلى باب أبي مصعب فخرج إلي شيخ مخضب وكنت ناعسا فحركني وقال: من أين أنت أي شيء تنام، قلت: أصلحك الله أنا من الري، فقال: تركت أبا زرعة وجئتني لقيت مالكا وغيره فما رأت عيناي مثل أبي زرعة.

قال ودخلت على الربيع بمصر فقال من أين قلت من الري قال تركت أبا زرعة وجئت إن أبا زرعة آية وإن الله إذا جعل إنسانا آية أبانه من شكله حتى لا يكون له ثان.

وقال أبو نعيم بن عدي سمعت ابن خراش يقول كان بيني وبين أبي زرعة موعد أن أبكر عليه فأذاكره فبكرت فمررت بأبي حاتم وهو قاعد وحده فأجلسني معه يذاكرني حتى أضحى النهار فقلت بيني وبين أبي زرعة موعد فجئت إلى أبي زرعة والناس منكبون عليه فقال لي تأخرت عن الموعد قلت بكرت فمررت بهذا المسترشد فدعاني فرحمته لوحدته وهو أعلى إسنادا منك. قال أبو الحسن البناني حدثنا محمد بن علي بن الهيثم الفسوي قال لما قدم حمدون البرذعي على أبي زرعة لكتابة الحديث دخل فرأى في داره أواني وفرشا كثيرة وكان ذلك لأخيه قال فهم أن يرجع ولا يكتب فلما كان من الليل رأى كأنه على شط بركة ورأى ظل شخص في الماء فقال أنت الذي زهدت في أبي زرعة أما علمت أن أحمد بن حنبل كان من الأبدال فلما مات أبدل الله مكانه أبا زرعة.

وسمعت أبا زرعة يقول إذا انفرد ابن إسحاق بالحديث لا يكون حجة ثم روى له حديث القراءة خلف الإمام وسمعته يقول كان الحوضي وعلي بن الجعد وقبيصة يقدرون على الحفظ يجيئون بالحديث بتمام وذكر عن قبيصة كأنه يقرأ من كتاب، قلت يعجبني كثيرا كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل يبين عليه الورع بخلاف رفيقه أبي حاتم فإنه جراح، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي ومحمد بن الحسين الفقيه وإبراهيم بن عبد الرحمن الشاهد وست القضاة بنت يحيى قراءة قالوا أخبرتنا كريمة بنت عبدالوهاب القرشية أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد الباغبان في كتابه أخبرنا أبو عمرو عبدالوهاب بن أبي عبدالله بن منده أخبرنا أبي أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري حدثنا أبو زرعة الرازي حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن عن موسى بن عقبة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك، أخرجه مسلم عن أبي زرعة فوافقناه بعلو درجة.

روائع القصص

أصحاب الجنة

(إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) (القلم:17ـ20).

كان هناك قرية تسمى (صروان) في اليمن، وكان هناك شيخ كبير يملك مزرعة يأخذ من محصولها ما يكفيه ويكفي عائلته ويتصدق بالباقي على الفقراء والمحتاجين.

وحينما اشتد المرض بهذا الشيخ وقرب اجله أوصى أبناءه خيرا بالفقراء والمحتاجين، ولكن الذي حدث بعد وفاته ان ابناءه اهملوا وصيته. اما المزرعة فكانت على احسن حال فأشجارها مثقلة بالثمار والفواكه، فلما رأوها طمعوا فيها فقال احدهم: ان ابانا انما كان يعطي هؤلاء المحتاجين والفقراء لانه كان شيخا خرفا اي لا يعلم ماذا يفعل.

وقال الآخر: نعم. واننا باستطاعتنا ان نصبح اغنياء لو اخذنا جميع ما في المزرعة لنا وحدنا.

لكن الابن الاوسط والذي كان اكثرهم ايمانا وعقلا قال: ان ما ترونه من نعم وخير انما هو بفضل هؤلاء الفقراء. فان الله هو الرزاق ويضاعف الاجر والثواب لمن يعمل خيرا، فغضبوا من اخيهم وقالوا له: ان عدت الى كلامك هذا فسنضربك. وصمموا وحلفوا على ان يذهبوا في صباح اليوم التالي ليقطفوا الثمار ولا يعطوا الفقراء اي شيء منها ودون ان يستثنوا مشيئة الله، اي انهم كانو يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى لا يقدر على ان يبيد مزرعتهم لانها مثمرة وفي مكان جيد ولا يمكن ان تصاب بسوء.

فقال اوسطهم: عليكم ان تستثنوا في حلفكم مشيئة الله فلا حول ولا قوة الا به، وما تشاءون الا ان يشاء الله.

فاستهزأوا بأخيهم وبقوا على تصميمهم وناموا ليستعدوا في اليوم التالي لتنفيذ ما عزموا عليه.

وبعد الفجر وعندما بدأت الشمس بالشروق خرجوا بكل هدوء لكي لا يعلم بهم احد من الفقراء او المحتاجين فيأتوا كالعادة ليأخذوا شيئا من الثمار. وكانوا يتهامسون في اثناء الطريق: يجب الا ندع اي فقير يدخل المزرعة بعد اليوم.

سيكون كل ما في المزرعة لنا وحدنا.

سنأخذ الكثير ونبيعه لنصبح اغنياء ونستطيع ان نشتري مزرعة اخرى.

وعاد صوت اخيهم يذكرهم الله:

اتقوا الله فمن يعص الله يخسر وكل ما عندنا منه، وسيعود عملكم هذا عليكم بالمضرة لأنكم ستحرمون عباده مما افاض به عليكم.

لكنهم ايضا لم يسمعوا له بل قالوا:

انك تحب ان تعيش كأبيك فقيرا. ان هذه الثمار ستدر علينا اموالا كبيرة.

وحينما وصلوا الى مكان مزرعتهم وجدوا ارضا ليس عليها شيء غير الرماد

فقال بعضهم لبعض:

لاشك اننا ضللنا طريقنا.

وقال الآخر:

ان لنا جنة مثمرة وهذه ارض جرداء محروقة

وحينما داروا ببصرهم فيما حولهم تأكدوا انهم في مكانهم الصحيح وان التي امامهم هي مزرعتهم، وكان الله قد ارسل عليها النار في الليل وهم نائمون فأحرقت ما فيها.

عند ذلك ادركوا انهم اذنبوا ذنبا كبيرا فغضب الله عليهم فاعترفوا بخطئهم وقالوا:

لقد حرمنا من مزرعتنا وقد كانت جنة عامرة بالثمار لأننا كنا ظالمين. فقد حرمنا الفقراء والمساكين من اعطائهم حصتهم من الثمار.

وقام يلوم احدهم الآخر ويقولون: اننا تمادينا في الظلم والبغي ونسينا الله وانا نادمون من عملنا هذا.

ولما تابوا وعادوا الى الله طائعين وقد عرفوا ان اباهم الشيخ انما كان يعمل فيما يرضي الله، والله كان يضاعف له الرزق لعمله الصالح.

قالوا: عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها وانا الى ربنا راغبون.

وكانت هذه عبرة لهم وللآخرين بأن عاقبة من يعص الله ويمنع الخير فجزاؤه الخسران.

ذنوب كبيره

شهادة الزور

قال تعالى: (والذين لا يشهدون الزور)، وفي الاثر: «عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين»، وقال تعالى: (واجتنبوا قول الزور)، وفي الحديث: «لا تزال قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار».

قال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور قد ارتكب عظائم، احدها الكذب والافتراء قال الله تعالى: (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وفي الحديث «يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب».

وثانيها: انه ظلم الذي شهد عليه حتى اخذ بشهادته: ماله وعرضه وروحه.

وثالثها: انه ظلم الذي شهد له بأن ساق اليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال ﷺ «من قضيت له من مال اخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما اقطع له قطعة من نار».

ورابعها: انه اباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض، قال رسول الله ﷺ «الا انبئكم بأكبر الكبائر: الاشراك بالله، وعقوق الوالدين، الا وقول الزور، الا وشهادة الزور.. فما زال يكررهاحتى قلنا: ليته سكت».

فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء.

رسائل الرسول

كُتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين

المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم التميمي الدارمي أمير البحرين، وأخبار المنذر بن ساوى قليلة للغاية قبل إسلامه ويبدأ ذكره باستقباله العلاء الحضرمي يحمل رسالة النبي ﷺ. حامل كتاب رسول الله ﷺ الى المنذر: العلاء الحضرمي: والحضرمي: عبدالله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عويف بن مالك بن الخزرج بن أُبيّ بن الصدف، لا يختلفون انه من حضرموت، ولّاه رسول الله ﷺ على البحرين، وتوفي ﷺ وهو عليها، فأقره أبوبكر الصديق خلافته كلها، ثم أقره عمر الفاروق، توفي العلاء ﷺ في خلافة عمر الفاروق سنة 14هـ، فاستعمل عمر الفاروق بعده أبا هريرة ﷺ.

والعلاء هذا هو أخو عامر بن الحضرمي الذي قتل يوم بدر كافرا، وأخوهما عمرو بن الحضرمي أول قتيل من المشركين قتله مسلم، وكان ماله أول مال خُمّس في الإسلام، قتل يوم نخلة، وأختهم الصعبة بنت الحضرمي تزوجها أبوسفيان وطلقها، فخلف عليها عبيدالله بن عثمان التيمي، فولدت له طلحة بن عبيدالله التيمي.

كان العلاء ﷺ مجاب الدعوة، خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها ولما قاتل أهل الردّة بالبحرين كان له في قتالهم أثر كبير.

الكتاب

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح ليّ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية».

ولما انتهى من قراءة الكتاب قال له العلاء: يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين، وليس فيها تكرم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيى من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم على أكله، ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل، ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب ألا تصدقه، ولمن لا يخون ألا تأمنه، ولمن لا يخلف ألا تثق به؟فإن كان هذا هكذا، فهو هذا النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، وما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت امس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله، وسأنظر فيما أصنع من الذهاب إليه أو مكاتبته.

وأسلم المنذر بن ساوى وحسن إسلامه، ومات قبل ردة أهل البحرين.

وكتب المنذر لرسول الله ﷺ: «أما بعد، يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجب ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك». فكتب ﷺ إلى العلاء: «فرائض الإبل والبقر والغنم والثمر والأموال» فقرأ العلاء كتابه ﷺ على الناس وأخذ صدقات أغنيائهم فردها في فقرائهم.

● الشيخ سيد الرفاعي